



«الهولوكوست» في بؤرة الصراع مجددا

فيلم «الإنكار» معالجة جديدة لموضوع قديم



ديبورا ليبستادت مع الممثلة التي قامت بدورها راشيل وايتز



تيموثي سبول في دور ديفيد إيرفينغ

التاريخية" الذين يمتلكون الكثير من الوثائق والأدلة التي كان يمكن -على الأقل- أن تسلط الأضواء على الجانب الآخر للفكرة الثابتة السائدة خاصة عن الهولوكوست، لكنه رفض راعيا في أن ينأى بنفسه عن تيار المراجعة التاريخية.

إيرفينغ أراد أن يحصر القضية في نطاق "تشويه السمعة" فأخطأ، بينما نجح الجانب الآخر في جعلها ليست فقط محاكمة لمثكري الهولوكوست -كما يطلقون عليهم- وكان الهولوكوست "دبابة"، بل وحسما لموضوع تاريخي أي فرضية الإبادة الجماعية إلى الأبد، وكان قضايا التاريخ يمكن حسمها بصور حكم من قاض!

يستبعد فريق محامي ليبستادت فكرة الاستماع لشهادة الشهود (خشية مما يمكن أن يتعرضوا له من إهانة كما يقولون)، وإن كانت الحقيقة خشية من افتضاح كذب شهاداتهم المزورة التي كشف زيف الكثير بالفعل خلال العشرين عاما الأخيرة، كما يرفضون أن تدلي ليبستادت بشهادتها أمام المحكمة، وهما قراران تعترض عليهما ليبستادت بقوة في الفيلم، لكنه قرار أفاد ليبستادت بعد أن دعم موقفها في رفض "مناقشة الهولوكوست" مع إيرفينغ.

يقول الفيلم -ونحن نستخدم هنا فعل "يقول" لأن الفيلم يمثل بالأقوال والحوارات العقيمة والمحاضرات التي تعيد وتزيد وتردد نفس النغمة القديمة التي يحفظها الجمهور عن ظهر قلب- إن إيرفينغ بعد أن كان يقبل "حقيقة" غرف الغاز، عاد فرفضها بعد أن قرأ تقرير "لويستر" مهندس تكنولوجيا الإعدام الذي ذهب إلى أوشفيتز وفحص غرف الغاز وحصل على عينات من الجدران والتربة ثم أرسلها للتحليل ووجد أن آثار الغاز السام فيها ليس من الممكن أن تقتل قملة. ولكن ليبستادت تقول لنا في الفيلم إن "كمية الغاز التي تقتل الحشرات أكبر كثيرا من الكمية اللازمة لقتل الإنسان!"

نظرة أحادية

وبغرض الابتعاد قليلا عن قاعة المحاكمة وتقديم بيان تسجيلي مصور عن "الحقيقة"، ينتقل الفيلم مع فريق المحامين إلى معسكر أوشفيتز في بولندا، لفحص غرفة الغاز المهمة، لكن الفيلم يفشل تماما في استغلال تفاصيل المكان للتدليل على وجهة نظر ليبستادت، بل ويفشل حتى أثناء المحاكمة في إثبات وجود الثقب الشهيرة في سقف الغرفة، ليعبر عنها بسرعة.

يكشف فيلم "الإنكار" عن نظرة أحادية دعائية في طرح موضوع الهولوكوست، ويعاني بشكل مثير للرتاء، من غياب التوازن المطلوب في أي عمل يتعلق بـ"التاريخ"، ومن تنميط و"شطينة" الطرف الآخر المخالف (الخاسر)، وتصوير الطرف الآخر باعتباره ممثلا لجهة الدفاع عن "الحقيقة". ويعاني الفيلم أيضا من الاستطرادات والهبوط الواضح في الإيقاع، والتعويض عن غياب الدراما بالجوء إلى بعض اللقطات التي يفترض أنها صور تسجيلية تكشف صلة إيرفينغ بجماعات النازيين الجدد في ألمانيا والنمسا. وبسبب تهافته وسخف طرحه وكاريكاتورية مشاهدته وشخصياته، جاء أداء الممثلين أقل كثيرا مما هو متوقع، وبدت محاولة "تلميع" بطلته راشيل وايتز، محاولة مفتعلة شبيهة بوضعها في مقدمة خشبة المسرح وتسليط الأضواء عليها وحدها، وجعل الممثلين المحيطين بها مجموعة من "الكومبارس" الصغار!

يربح إيرفينغ القضية في بريطانيا؛ لقد أنفقت بينغوين والجهات العديدة الداعمة لليبستادت (المنظمات اليهودية العالمية) ما يقول إيرفينغ إنه نحو عشرين مليون دولار، والمناخ الإعلامي السائد في بريطانيا كان يرفض أصلا أي مناقشة لموضوع الهولوكوست، والدول الأوروبية الرئيسية جعلت من التشكيك في الهولوكوست جريمة يعاقب عليها القانون، وإيرفينغ من جهته، مدفوعا بصلفه وغروره، قام بتسليم مذكراته الشخصية إلى محامي ليبستادت لكي يلتقطوا من بين ثناياها الكثير مما يفصح الكثير من أفكاره الشخصية اليمينية أمام المحكمة.

دراما المحاكمة

يتحول الفيلم بعد المدخل الأول، إلى فيلم من أفلام المحاكمات أي يتركز أساسا داخل قاعة المحكمة، ويصبح الحوار الطويل أساس الدراما، ويتجسد الصراع الدرامي فيه عند تلك المواجهات الكلامية التي تصل أحيانا إلى ما يشبه المحاضرات المباشرة التي تركز نفس الحجج والتأكيدات على وقوع الهولوكوست ووجود غرف الغاز، وإثبات أن إيرفينغ مزور وكاذب وعنصري ومدفوع بدوافع سياسية بسبب عشقه للنازية ولهتلر. ويلخص الفيلم بشكل كاريكاتوري موقف إيرفينغ في شعار "لا ثقب.. لا هولوكوست" وهو في الحقيقة شعار رفعه البروفيسور الفرنسي روبرت فوريسون الذي رفض إيرفينغ الاستعانة به للإدلاء بشهادته أمام المحكمة كما رفض الاستعانة بأي مؤرخ من مؤرخي "المراجعة

التي تقوم بدورها راشيل وايتز، في صورة صاحبة القضية، الباحثة عن الحقيقة، تتمتع بروح المرح، والحيوية والجاذبية الشديدة (التي تنقص لبستادت في الواقع)، تقبل التحدي الذي فرض عليها بعد أن قاضاها إيرفينغ أمام القضاء البريطاني.

ولكن لماذا القضاء البريطاني؟ السبب الأول أن الكتاب نشر في بريطانيا عن طريق دار "بنينغوين" وهي دار النشر التي أصبحت طرفا في القضية أيضا إلى جانب ليبستادت، والسبب الثاني أن القانون البريطاني فيما يتعلق بقضايا تشويه السمعة، يقضي بأن يثبت الطرف المتهم -أي ليبستادت- صحة مزاعمه، على العكس من القضاء الأمريكي الذي يطلب المدعي بإثبات صحة اتهاماته. الحوار في الجزء الأول من الفيلم يدور حول هذا الجانب القانوني وغيره مثل هل الأفضل أن تنظر القضية أمام لجنة من المحلفين، أو أن تترك بين يدي قاض واحد؛ ويستقر الاتفاق بين الطرفين على إسنادها لقاض واحد.

يتولى الدفاع عن ليبستادت فريق كبير ضليع من المحامين على رأسهم أنطوني جوليوس (الذي تولى قضية طلاق الأميرة ديانا)، وريتشارد رامبتون (الذي يقوم بدوره ببراعة لافتة توم ويلكنسون) وهو الذي سيقترع في القضية، ويستعين المحامون بعدد كبير من المؤرخين والباحثين اليهود في موضوع الهولوكوست لتقديم شهاداتهم أمام المحكمة. أما إيرفينغ فيرتكب الخطأ القاتل الذي أدى به في النهاية إلى خسارة القضية، فقد اختار أن يتولى الدفاع عن نفسه ومناقشة الشهود بنفسه. ولكن هل كان هناك احتمال لأن

يوتوب، وقام بالتعليق عليه شارحا بالتفصيل وقائع ذلك اليوم.

قال إيرفينغ إنه كان في جولة بالولايات المتحدة، وقرر التوجه بصحبة مجموعة من أصدقائه، لحضور محاضرة ليبستادت لأنه كان على يقين من أنها ستقوم بتشويهه خلال المحاضرة خاصة وأنها كانت قد فعلت ذلك قبل شهرين أثناء جولتها في أستراليا ونيوزيلندا بتكليف من المجلس اليهودي الأسترالي الذي دفع تكاليف رحلتها بالكامل. وخلال المحاضرة حسب إيرفينغ قالت ليبستادت إن هناك الكثير من الأدلة على وقوع الهولوكوست، وإن لديها خريطة بتصميم غرفة الغاز في معسكر أوشفيتز بما في ذلك الثقوب الموجودة في السقف التي كان الألمان يلقون من خلالها بمادة السيانيد السامة.

بعد الاستماع لمدة ساعة ونصف إلى ليبستادت قال إيرفينغ إنه طلب الكلمة وتحدث فقال لها إن ما ذكرته بشأن خريطة غرفة الغاز كذب صريح، وتحداها أن تبرر هذه الخريطة أو ترشد إلى مكان وجودها، قائلا إنه سيمنحها ألف دولار فورا إذا ما فعلت ذلك!

تنميط الشخصية

لا يقدم الفيلم هذا الحدث باعتباره خلافا جوهريا حول "غرف الغاز"، بل حول وقوع الهولوكوست من عدمه. كما يصور إيرفينغ، سواء في هذا المشهد أو في عموم الفيلم كشخص مختل، منعزل، قبيح، فظ، عدواني، مدفوع بالكرهية، وكمنط مرادف للشريير في السينما. وعلى الجانب الآخر تظهر ليبستادت

فيلم «رجل الجاز».. تجربة تسجيلية مثيرة

مقابل تاجر المكان، وهو ما يشكل محاولة لتقويض الحدث لكن ما يثير الفرح ويدخل السعادة على قلوب المشاهدين، أننا نرى كيف تتمر جهود صلاح في النهاية عندما يقام المهرجان وتشارك فيه فرق متنوعة من العالم.

الفيلم من النوع التسجيلي الموسيقي، وهو يتمتع بإيقاع سريع ومونتاج يقوم على الانتقال بين الأماكن والشخصيات، لا يتوه أبدا عن موضوعه، ولا عن بطله الحاضر في معظم أجزاء الفيلم الذي يبلغ زمن عرضه 82 دقيقة، كما يتميز باللقطات البديعة من الناحية البصرية، والاهتمام بالمزاوجة بين الإيقاع البصري والإيقاع الموسيقي.

* أ.ع

يعرض صلاح وفريقه للكثير من المشاكل، أهمها مشكلة التمويل، وضعف الإمكانيات، وتقايس الحكومة عن تقديم الدعم الكافي للمهرجان، ورغم أن المسؤول في وزارة السياحة يركز أمام الكاميرا أنهم على قناعة بأن المهرجان يساهم في تحسين صورة مصر في الخارج إلا أن وعوده بزيادة الدعم المالي لا تتحقق.

المخرج عاطف أبوزيد، وهو ألماني من أصل تونسي، يرصد ببراعة تفاصيل الأيام التي تسبق إقامة الدورة الجديدة من المهرجان، بكل ما يواجهه عمرو صلاح من مشاكل، وتصاعد التوتر والإثارة وتعدد العلاقة مع السلطة، التي تفرض ضرائب باهظة وتطالب صلاح بدفع مبالغ طائلة



عمرو صلاح.. عاشق الجاز

من أفضل الأفلام التسجيلية التي عرضت بالدورة الـ46 من مهرجان روتردام السينمائي، الفيلم التسجيلي- من الإنتاج الألماني- "رجل الجاز". ويتابع الفيلم العلاقة بين بطله "عمرو صلاح"، وولعه بموسيقى الجاز ومحاولته إدخالها إلى مصر من خلال مهرجان دولي ينظمه سنويا في القاهرة بجهود ذاتية محدودة.

عمرو صلاح.. عاشق الجاز، نشأ وتعلم منذ الصغر بمساعدة والدته، العزف على البيانو، ثم كبر وتفرغ للموسيقى وللتأليف الموسيقي وكون فرقة موسيقية ثم أصبح ينظم أيضا دورات تدريبية للأطفال لتعليم الموسيقى، ثم أسس المهرجان السنوي لموسيقى الجاز في مصر.

يؤمن عمرو صلاح بأن موسيقى الجاز شكل من أشكال الاحتجاج السياسي، وهي أساسا تجذب جمهور الشباب المصري الذين يمثلون -كما يقول- النقيض للطبقة السياسية الحاكمة، ليس فقط في أعمارهم، بل في تطلعاتهم ورغباتهم في اجتياز المالوف للتعبير الحر عن أنفسهم. ويعرض الفيلم للتجربة الشخصية لبطله، علاقته بوالديه، إيمانهم العميق به وبموهبته، وعلاقته بأفراد الفرقة الموسيقية التي تعمل معه، وانطباعات الموسيقيين من الفرق التي شاركت في المهرجان، كما يصور الاستعدادات التي يجريها عمرو مع فريق العمل وصولا إلى إقامة الحدث الكبير نفسه، ويجري المخرج من وراء الكاميرا مقابلات مع عدد من سكان منطقة الأزهر الذي يقام المهرجان في حديثه الحديثة، لمعرفة انطباعاتهم عن التجربة وأهميتها.



أمير المصري

ناقد سينمائي من مصر

□ مرة أخرى يأتي فيلم جديد يناقش الموضوع الأثير لدى الكثير من صناع السينما في الغرب، أي موضوع الهولوكوست، أو ما يعرف بـ"الإبادة الجماعية" لليهود الأوروبيين خلال الحرب العالمية الثانية على أيدي الألمان النازيين.

الفيلم الجديد هو "الإنكار" الذي كتب له السيناريو ديفيد هير، وأخرجه ميك جاكسون، وقام ببطولته طاقم من الممثلين البريطانيين على رأسهم راشيل وايتز وتوم ويلكنسون.

هذا الموضوع المثير للكثير من الجدل الذي سبق أن تصدى له الكثير من المفكرين في الغرب، وألقوا حوله الكثير من علامات الاستفهام بل والتشكيك، مثلما فعل المفكر الفرنسي روجيه غارودي، هو في السينما، موضوع "مضمون" أي يسهل الحصول على تمويل لإنتاجه من شركات هوليوود، رغم أن الأفلام التي تناقش الهولوكوست لم تعد تحظى اهتماما كبيرا، ولعل أحدث مثال على ذلك فيلم "تذكر" الذي عرض العام الماضي وبلغت ميزانيته 13 مليون دولار لكنه لم يجن في السوق الأميركية سوى 637 ألف دولار.

قصة حقيقية

موضوع الفيلم مبني على "قصة حقيقية"، بطلتها ديبورا ليبستادت أستاذة التاريخ اليهودي في جامعة إيموري الأميركية بولاية أتلانتا. وهي التي تشاهد الأحداث من وجهة نظرها في الفيلم مع استعراض تفاصيل القضية الشهيرة التي رفعها عام 1996 ضدها المؤرخ البريطاني ديفيد إيرفينغ، يتهمها بتشويه سمعته وسببه والإساءة إليه في كتابها الذي صدر عام 1993 بعنوان "إنكار الهولوكوست: الاعتداء المتنامي على الحقيقة والذاكرة". وقد استقطبت هذه القضية اهتمام الرأي العام وأجهزة الإعلام في الغرب وامتدت لعدة سنوات، حتى عام 2000 حينما بدأ نظرت جلساتها العلنية واختتمت في أبريل من العام نفسه.

يبدأ الفيلم بمشهد يدور في قاعة المحاضرات في جامعة إيموري حيث تلقي ليبستادت محاضرة على طلابها حول الهولوكوست، وفي الصف الخلفي يجلس ديفيد إيرفينغ الذي يتدخل ويطلب الكلمة للرد على ما تقوله ليبستادت لكنها ترفض أي مناقشة معه، فيخرج رزمة من الأوراق النقدية بلوح بها قائلا إنه سيمنحها ألف دولار إذا كانت تملك أي دليل على وقوع الهولوكوست.

هذا المشهد يأتي في الفيلم بشكل هزلي تماما، فأيرفينغ الذي يقوم بدوره الممثل البريطاني تيموثي سبول، يصبح طبقا للشخصية كما هي مكتوبة في السيناريو، رجلا أحمق، يعاني من اضطراب نفسي، ويتردد أنه كان يعاني في طفولته من المعاملة القاسية من جانب والده، وهو يقاطع ويشوش ويصدر مهمات غير مفهومة، ويلوح بشكل كاريكاتوري برزمة الألف دولار في يده.

من حسن الحظ أن ديفيد إيرفينغ الذي ذهب عامدا إلى أميركا لحضور هذه المحاضرة ومواجهة ليبستادت والرد عليها، استعان بمصور قام بتصوير الحدث بالكامل، لكن ليبستادت تدخلت وهددت بمقاضاة المصور إذا بث الشريط الصوتي للمحاضرة دون الحصول على تصريح منها، فقام إيرفينغ بوضع الشريط المصور صامتا على موقع